

بصة اخرى ثم شربت ثلث الكاس واعيد الكيس على ابهام يدها مراراً عدة ساعة من الزمان شربت في غضونهما اربع كؤوس من الماء وكأساً من اللبن . وربط ابهام يدها برباط من الكاوتشوك يضغط عليه فتامت تلك الليلة وهي اول ليلة نامتها منذ اصابها الألم . وزال كل الورم تقريباً وصارت تبلع بسهولة ثم شفيت تماماً . انتهى

نهل حدث ذلك بالورم والاستهزاء او ان تقرعات الاعصاب قادرة ان تجيش جيوش الخلايا البيضاء من الدم لازالة اسباب الالتهاب او ان لازالة هذا الألم وعطيه سبباً آخر غير معروف . ذلك ما لا بد من كشفه عاجلاً او آجلاً

أوهام سر خفي

السر كونان دويل من اشهر كتّاب الروايات باللغة الانكليزية ولاسيما الروايات التي موضوعها كشف الجناة . ولد كتب الآن عن حوادث وقعت له وهي في حد القزابة ولولا اعتقادنا صدقه وزاغت لضربنا عنها صفحاً ولم نمن بالاشارة اليها . اما وهو من نواحي الكتاب الذين يشار اليهم باليتان فرأينا ان نذكر خلاصة هذه الحوادث ونلخصها بما يبدو لنا من طبيعتها الحادثة الاولى - كان مسافراً في سويسرا سنة ١٨٩٢ وقاده الترحال الى عبور جني فرأى على رأس الاكمة المشرفة عليه فندقاً منفرداً يطل على الوادي الذي تحته فقال في نفسه ان هذا الفندق يقع ميقاً وبقفل شتاء اترآكم الثلج عليه وشدة البرد فيه ثم بلغه ان اصحابه لا يهجرونه ابداً بل يجمعون مؤونة الشتاء ويقنون فيه . فجلس يفكر في امره وحاك في صدره ان يرثف قصة يجعل فيها سكان الفندق مختلفي الطباع جداً ويصف ما يعمل بهم من اختلافهم هذا وهم مضطرون ان يقبوا في ذلك الفندق كل فصل الشتاء والناس تحتهم في الوادي عاثون على تمام الرفاه والهناء . وبينما هو يعمل في هذا الموضوع ويرثف القصة في ذهنه اشترى كتاباً في الطريق من اوضاع الميسو موبسان والقصة الاولى فيه عنوانها الفندق (d'Auberge) فتلاها واذا هي تعصف ذلك الفندق عينه وموضوعها مثل الموضوع الذي رتبته في ذهنه . وقال انه لم يكن لدرأى هذا الكتاب ولا سمع به ولو ألف الرواية التي خطر على باله تأليفها لثبت عليه انه سرقها من كتاب موبسان فكأن قوة غير طبيعية جعلته يفكر كما فكر موبسان تماماً ثم منعه من ان يكتب شيئاً بعد التحال ولم يقصد التحال

الحادثة الثانية — إن المهارة التي أبدعها في رواياته المشار إليها آنفا جعلت كثيرين يلجأون اليه ليساعدهم في اكتشاف الحقائق فكان يوزن بالمراد غالباً . وكان في حادثة من الحوادث التي طلبت مساعدته فيها رجل بدأ سماء جون ولدر هاجر الى اميركا وهو من الذين لم علاقة كبيرة بالجناية فلم يكدر يتناول البحث في هذه الحادثة حتى اخذ ولحد يرسل اليه الجرائد من مدينة في كليفلند ليأخذ ان يكتب على حواشيها عبارات التهمك والازدراء مشيراً فيها الى بحثه في هذه الحادثة . ثم ان هذا الرجل كتب اسمه وعنوانه في حاشية جريدة منها وهو جون ولدر . فكتب السر كوتان دويل الى رئيس البوليس في تلك المدينة يسأله هل هذا الرجل مقيم هناك فاجابه بالاجاب . فلم يرَ بداً من حساب نفس الرجل المطلوب . فاخبر بذلك رجال البوليس في انكسروا وهزلوا بمشوا وحققوا فوجدوا ان جون ولدر الساكن في تلك المدينة هو عين جون ولدر المطلوب وان الذي كان يرسل الجرائد الى السر كوتان دويل هو رجل آخر معروف في تلك المدينة وهو اميركي بمخيل الشهور . وقال السر كوتان دويل ولا شبهة انه لم يكن لهذا الرجل اقل علاقة بالجريمة ولكنني لا ادري ما دعاه الى الاهتمام بها ولا ما هو سبب هذا الاتفاق الغريب

الحادثة الثالثة — قال السر كوتان دويل كنت ماشياً مع زوجتي في الينشيوبرومية ولم تكن زوجتي قد رأت ذلك المكان ولا قرأت عنه شيئاً اذ كنا في اليوم الاول من زيارتنا لرومية فقالت لي اتنا سنرى هنا قتال دمي وبعد دقائق قليلة وصلنا الى حيث كان قتاله فقلت لها كيف عرفت ذلك فقالت لا اعلم

الحادثة الرابعة — قال ايضاً تعلقت على البحث في المواضيع النامضة (كمناجاة الارواح) مدة ثلاثين سنة . وكنت مرة متجاً في قرية فتعرفت بطبيب فيها صغير الجسم قليل العمل وبلغني ان في بيته غرفة سرية لا يدخلها احد غيره وانها مخصصة بالبحث في المواضيع الفلسفية النامضة لانه من الباحثين في هذه المواضيع . فراد اهتمامي بامرؤ ولما رأى مني ذلك عرض علي ان انضم الى جمعية السرية وجرى بيننا حينئذ الحديث التالي

قلت — ماذا استفيد من هذه الجمعية

فقال — تكتسب قوى مع الزمن لا تجددها فيك الآن

فقلت — ما نوع هذه القوى

فقال — هي من النوع الذي يسميه الناس فوق الطبيعة مع انها طبيعية محضة ولكن

لا يتلها احد الا بهد ما يعرف اعماق قوى الطبيعة

قلت - ان كانت هذه القوى مفيدة فلماذا لا تعلمون بها كل الناس

نقال - لاننا نخاف ان يسيء بعضهم استعمالها

قلت - كيف تضمنون منعها عن الذين يسيئون استعمالها

نقال - بالامتحان الذين يطلبون الانضمام اليها

قلت - وهل مرادكم ان نتجنسوا

نقال - نعم

قلت - من يتجنسوا

نقال - الذين منا في لندن

قلت - وهل يطلب مني ان احضر لديهم

نقال - كلا بل هم يفعلون ذلك من غير ان تعرف

قلت - ثم ماذا

نقال - يجب ان تدرس

قلت - ماذا ادرس

نقال - يجب ان تستطير اشياء كثيرة اولاً

قلت - اذا كانت هذه الاشياء مطبوعة فكيف لا يطلع الجمهور عليها

نقال - انها ليست مطبوعة بل هي مكتوبة كتابة في كرايس وعلى كل كراس منها

عدد ما وقد ائتمن عليها اعضاء جمعيتنا ولم يحدث حتى الآن ان احداً منهم خافنا

قلت - لا مانع اذاً من ان تسيروا في عملكم من جهتي

وبعد نحو اسبوع نهضت في الصباح ذات يوم واذا انا اشعر بدوي في اذني وبطني كله

كان هزة كهربائية برزت في جسمي فطردتني الى حالاً ذلك الطبيب . وبعد ايام قليلة زارني

وقال لي يا صديقك استجبت لجزء الامتحان والآن قل لي هل انت مستعد ان تسير معنا

لانك اذا ابتدأت لا تستطيع ان تتردد فيما ان تسير معنا الى النهاية او تعدل عن ذلك

من الآن

فرايت حينئذ ان الامر مهم جداً واني لست في سعة من الوقت له فاخبرته بذلك فلم

يسأ بل قال اذا تركنا هذا الموضوع ولا نعود اليه الا اذا غيرت فكرك

وبعد شهر او شهرين زارني هذا الطبيب ومعه طبيب آخر اسمه معروف لدي وهو

رحالة في الاقاليم الحارة مشهور بجلوسه في حول النار في مكتبتي ولحظت ان الرحالة كان شديد

الاحترام للطبيب مع ان الطبيب اصغر منه سنًا ثم قال لي الطبيب ان فلانًا أي الرحلة من تلاميذي ثم اتفت الى الرحلة وقال له ان دويل كاد يصير من جماعتنا . ولحال جعل الرحلة يحكم مع الطبيب عن الغرائب التي شاهدها فاصفيت الى كلامها كما في اسمع اثنين من المجانين . واذكر الآن ان الرحلة قال للطبيب ما نصه انك لما اخذتني معك وكنا حائرين فوق المدينة التي كنت مقيمًا فيها في اواسط اريقية رأيت لأول مرة الجزائر في البصرة . وقد كنت اعم ان هذه الجزائر فيها ولكنني لم ارها قبلاً بعد ما عن الشاطئ . ألا يستغرب اني رأيتها لأول مرة وانا مقيم في لندن

الحادثة الخامسة — ذهبت مرة لانا في بيت يقال ان الارواح تسكنه وذهب اثنان لينا معي في وكنا كنا مرفدين من قبل جمعية المباحث النفسية التي انا من اعضائها الاوائل . وكان الساكنون في هذا البيت يستمعون اصواتًا مزعجة في الليل فاضطربوا ان يهجرهم . ولم نسمع نحن شيئًا في الليلة الاولى ومضى واحد من رفيقي . وبقيت انا والرفيق الآخر وهو المستر بدور المشهور في بحث الامور النفسية فحفظنا الاحتياط الكافي لمنع كل غش وغشنا ولم يكذب الليل ينتصف حتى سمعنا صوتًا كأن احداً يضرب على طاولة بمطرقة كبيرة وكانت ابواب الغرف مفتوحة كلها فقمنا واسرعتا الى المطبخ لان الصوت كان صادراً منه فلم نجد فيه شيئاً فاخذ بدور الصباح وعاد الى غرفة الجلوس وبقيت انا في الظلام لملي اسمع الصوت ثانية ولكن الصوت انقطع ولم يعد تلك الليلة

وبعد سنوات احترق ذلك البيت ووجد في حديقته عظام نقي عمره نحو عشر سنوات مدفونة في الارض . ويقال ان موت هذا النقي وهو في عتفوان صباه جعل ما لم يستترق من قوته يبقى هناك وهو سبب ما يستمع من الاصوات . انتهى كلام المؤلف

من يقرأ هذه الحوادث وامثالها قلما يخطر بباله ان يرتاب في صحتها لاسيما وان راويها من كبار الكتّاب المشهورين . اما نحن فترتاب في صحتها كل الريب ودليلنا الاكبر على هذا الريب كون السر كوتارد دويل من الذين اشتغلوا ثلاثين سنة في المباحث النفسية نقابة معرض لتصديق الغرائب . اي انه من الذين تستهويهم الغرائب فيسهل الخداعهم بها . واذ قد نمهد ذلك ننظر في ما تحمله كل حادثة من الحوادث المذكورة آتينا من التعليل

الاولى حادثة الرواية التي كان يفكر في تأليفها ثم اطلع على رواية مؤلفة في موضوعها تماماً . فانا نعلمها بانها سمع خلاصة هذه الرواية ممن قرأها ثم نسي انه سمع ذلك وجعل يفكر

به كأنه من نبات افكاره لا كأنه سمع قبالاً . وما من احد الا وقد وقع له شيء من ذلك ولا سيما اذا سمع كلاماً وهو متنبه الى حديث آخر فان الكلام يدخل اذنيه ويرسم في ذاكرته في الوقت الذي يكون انتباهه موجه الى شيء آخر فلا يشعر انه سمع ولكن اثره يبقى في ذهنه فاذا حدث ما نبيه اليه حسب انه شيء جديد في دماغه

الثانية حادثة الرجل الذي هاجر الى اميركا فان مماثلة اسمه وصناعته لاسم رجل مقيم في كليفلاند باليس من الامور المستغربة فان اسم هنري سمث مثلاً عند الانكليز مثل اسم محمد توفيق في مصر ينسى يو كثيرون . والظاهر ان الرجل المختل الشعور قرأ ان السر كونان دويل كان يبحث عن رجل بهذا الاسم وكان يعرف ان الرجل المسمى بهذا الاسم في بلده لا يحتمل ان تكون له علاقة بالجريمة بفعل بهكم عليه بما يكتبه من الحواشي التي يرسلها اليه والثالثة اخبار زجنه اياه بوجود تشال دني قبل ان رأته وفي مكان لم تراه قبالاً ينسر بانها رأت صورة ذلك المكان قبالاً وصورة ما يجاوره ورأت فيه صورة تشال داني فلما دنت منه تذكرت الصورة الباقية في ذهنها ولكنها لم تذكر انها رأتها قبالاً وهذا كثير الوقوع

والرابعة حادثة الطبيب والرحالة وقولها انهما طارا في مدينة لندن فرأيا بحيرة في قلب افريقية والجزائر في وسطها . وعندنا ان الطبيب والرحالة من اهل الاوهام وهو لا لم يخل عصر منهم . فد جاء في ترجمة ابن الفارض ان رجلاً اراه مكة والمدينة وهو في مصر في سفح جبل المقطم وانه كان ينتقل الى مكة من مكان يبعد عنها عشرة ايام في ليلة واحدة ثم يعود ثانية واشياء اخرى من هذا القبيل . اما كيف يتوهم بعض الناس انهم انظروا من بلاد الى اخرى في لحظة من الزمان فقل توهم كل احد انه يفضل ذلك في الحلم اي ان بعض الناس يحلمون وهم ايقاظ كما يحلمون وهم نيام فانهم يهجون فيصدقون ما يحسوا به كأنه واقع فعلاً لضعف قوة التحقيق فيهم

والخامسة حادثة البيت المكون . ذكر السر كونان ادويل ان رفيقه كان المستر بدسور ولا ندري هل هو المستر فرتك بدسور مؤلف كتاب مناجاة الارواح الحديثة وكتاب مناجاة الارواح الاحداث او اخوه المستر Podmore . فان كان الثاني فلا شأن لحكمه لانه سهل الاختداع وان كان الاول فلاندرى هل ذكر هذه الحادثة في كتابه ولا ما هو رأيه فيها ولكن يظهر لنا انه كثير التساهل لا يترتب في حادثة الا اذا كانت الادلة على تقضا قاطعة . وقد وقع لنا ان شاهدنا بيتاً مكونة ترشقها الارواح بالمجارة في ظلام الليل ثم ثبت ان الذين كانوا يرشقون المجارة غلمان يختبئون في الاشجار وغرضهم الانتقام من السكان